التفسير الكبير

للإمام

الفخر الرازي

الجزء الثامن

الطبعة الأولى

يطلب من ملتزم طبعه

عبد الرحمن محمد

ملتزم طبع المصحف الشريف بميدان الجامع الأزهر

طبع بالمطبعة البهية المصرية

١٣٥٧ هجرية — ١٩٣٨ ميلادية

قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ «٤٧» وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ «٤٨»

على براءة حال مريم عليها السلام من الفاحشة ، وكان الحاضرون جمعا قليلين ، فالسامعون لذلك الكلام . كان جمعا قليلا . ولا يبعد فى مثله التواطؤ على الاخفاء ، و بتقدير : أن يذكروا ذلك إلا أن اليهود كانوا يكذبونهم فى ذلك وينسبونهم إلى البهت . فهم أيضا قد سكتوا لهذه العلة فلأجل هذه الأسباب بقى الأمر مكتوما مخفيا إلى أن أخبر الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بذلك ، وأيضا فليس كل النصارى ينكرون ذلك . فانه نقل عن جعفر بن أبى طالب : لما قرأ على النجاشى سورة مريم . قال النجاشى : لا تفاوت بين واقعة عيسى ، وبين المذكور فى هذا الكلام بذرة

ثم قال تعالى ﴿ومن الصالحين﴾

فان قيل : كون عيسى كلمة من الله تعالى ، وكونه (وجيها فى الدنيا والآخرة) وكونه من المقربين عند الله تعالى . وكونه مكلما للناس فى المهد ، وفى الكهولة كل واحد من هذه الصفات أعظم وأشرف من كونه صالحا فلم ختم الله تعالى أوصاف عيسى بقوله (ومن الصالحين)

قلنا : إنه لا رتبة أعظم من كون المرء صالحا لأنه لا يكون كذلك إلا ويكون فى جميع الأفعال والتروك مواظبا على النهج الأصلح ، والطريق الأكمل ، ومعلوم أن ذلك يتناول جميع المقامات فى الدنيا والدين فى أفعال القلوب ، وفى أفعال الجوارح . فلما ذكر الله تعالى بعض التفاصيل أردفه بهذا الكلام الذى يدل على أرفع الدرجات

قوله تعالى ﴿قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون﴾

قال المفسرون : انها إنما قالت ذلك لأن التبشير به يقتضى التعجب مما وقع على خلاف العادة وقد قررنا مثله فى قصة زكريا عليه السلام ، وقوله (إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) تقدم تفسيره فى سورة البقرة

أما قوله تعالى ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل﴾ ففيه مسألتان

وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ

﴿المسألة الأولى﴾ قرأنافع، وعاصم (ويعلمه) بالياء والباقون بالنون. أما الياء فعطف على قوله (يخلق مايشاء) وقال المبرد عطف على يبشرك بكلمة، وكذا وكذا (ويعلمه الكتاب) ومن قرأ بالنون قال تقدير الآية أنها قالت: رب أنى يكون لى ولد. فقال لها الله (كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فهذا وإن كان إخباراً على وجه المغايبة: إلا أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه، فلا جرم حسن أن يوصل به الاخبار على وجه غير المغايبة. فقال (ونعلمه) لأن معنى قوله (كذلك الله يخلق مايشاء) معناه: كذلك نحن نخلق مانشاء (ونعلمه الكتاب والحكمة) والله أعلم

﴿المسألة الثانية﴾ فى هذه الآية أمور أربعة معطوف بعضها على بعض بواو العطف. والاقرب عندى أن يقال: المراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة. ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الاخلاق لان كمال الانسان فى أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به، ومجموعهما هو المسمى بالحكمة، ثم بعد أن صار عالما بالخط والكتابة، ومحيطا بالعلوم العقلية والشرعية، يعلمه التوراة. وإنما أخر تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة، لأن التوراة كتاب إلهى. وفيه أسرار عظيمة، والانسان مالم يتعلم العلوم الكثيرة لايمكنه أن يخوض فى البحث على أسرار الكتب الالهية، ثم قال فى المرتبة الرابعة والانجيل، وإنما أخر ذكر الانجيل عن ذكر التوراة لأن من تعلم الخط، ثم تعلم علوم الحق. ثم أحاط بأسرار الكتاب الذى أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء، فقد عظمت درجته فى العلم فاذا أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتابا آخر وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى، والمرتبة العليا فى العلم، والفهم والاحاطة بالأسرار العقلية والشرعية، والاطلاع على الحكم العلوية، والسفلية، فهذا ماعندى فى ترتيب هذه الألفاظ الاربعة

ثم قال تعالى ﴿ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم﴾ وفيه مسائل:

﴿المسألة الأولى﴾ فى هذه الآية وجوه: الأول: تقدير الآية: ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ونبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل. قائلا: أنى قد جئتكم بآية من ربكم، والحذف حسن إذا لم يفض إلى الاشتباه. الثانى: قال الزجاج: الاختيار عندى أن تقديره: ويكلم الناس رسولا، وإنما أضمرنا ذلك لقوله (أنى قد جئتكم) والمعنى: ويكلمهم رسولا بأنى قد جئتكم. الثالث: قال الأخفش: إن شئت جعلت الواو زائدة. والتقدير: ويعلمه الكتاب والحكمة